الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الأدب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

قسم: اللغة و الأدب العربي

تخصص: دراسات نقدية

صورة الرجل في الكتابات الروائية النسوية الجزائرية
رواية "تسيان com" لأحلام مستغانمي
انموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

إعداد الطالبة:
- فطيمة رزقي

إشراف الأستاذة:
أمينة لعموري

لجنة المناقشة

1-فيروز رشام.....رئيسًا

2-أمينة لعموري ..... مشْرِفًا ومقرّرًا

3-مليكة عزيزي.....عضوًا ممتحنًا

السنة الجامعية 2015/2014

إهداء

إلى سندي في هذه الحياة إلى صاحبة القلب الكبير، إلى "أمي" الغالية
أطال الله في عمرها.
إلى أعز إنسان في الوجود "أبي" العزيز
أطال الله في عمره
إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء
إلى خالي العزيز "حميد"
إلى صديقاتي : صليحة وإيمان
إلى روح صدقيتي الغالية التي غادرتنا بدون استئذان "الغطاس نورة" رحمة الله عليك
إلى ابنة خالتي "دليلة" وبنات خالي : سعيدة ، فاطمة
إلى كل طالب علم
إلى كل أهلي وأقاربي
إلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد

فطيمة

شكر وتقدير

إلهي لا يطيب الليل إلاّ بشكرك...ولا يطيب النهار إلاّ بطاعتك...
ولا تطيب اللحظات إلاّ بذكرك...ولا تطيب الآخرة إلاّ بغفرانك...
ولا تطيب الجنة إلاّ برؤيتك الله جل جلاله...

نحمد الله حمدا كثيرا ونشكره على نعمه العظيمة وعلى هذه الساعة التي
وفقنا فيها ونصلي ونسلم على سيدنا وحبيبنا ومعلمنا محمد صلى الله عليه وسلم
نتقدم بشكرنا الخالص إلى:
كل من علمنا حرفا من حروف الهجاء من الألف إلى الياء
وعلما من علوم الجماد والأحياء لنسير به على خطى العلماء
نتقدم بشكرنا الخالص إلى الأستاذة المشرفة
لعموري أمينة
التي لم تبخل بعلم ولا بنصيحة
وجزاها الله خيرا لما منحته من عطاء للطلبة طيلة سنوات دراستنا
كما نتقدم بشكرنا الخالص إلى
الأستاذ بوشنب
لمساعدته لنا في إنجاز هذا العمل
جزاه الله خيرا لما قدمه لنا

كما وأتقدم بخالص الشكر والعرفان
إلى "نبيلة" التي أعانتني على إنجاز هذا البحث
جزاها الله خيرا لتعاونها معنا

إن الكتابة الأنثوية الجزائرية حديثة النشأة إذا ما قورنت بالكتابة الذكورية إلا أنّها قد ساهمت في إغناء الأدب الجزائري عامة والرواية بصفة خاصة. إذ نجد أنها عالجت في بداياتها عدة جوانب من الواقع الاجتماعي المحيط بها.

وقد شكلت الكتابة النسوية الجزائرية محور نقاشات خلال الندوات والتظاهرات، إذ ظل السؤال مطروح حول هذه الكتابات وعن ما تحمله من دلالات وما تخفيه. ولعل هذا ما دفعنا للخوض في هذه القضية والبحث فيها ، خصوصا مع ما تعج به الساحة الأدبية من كتابات نسوية تستحق الالتفاف إليها. إذ حاولنا في بحثنا هذا أن نخوض في جوف هذه الكتابات ونبحث في مواضيعها المتعددة. فأردنا أن نعرف **كيف صورت المرأة نصفها الثاني في كتاباتها وذلك من خلال معالجة موقف الأديبة الجزائرية من الرجل، هل أنصفته أم اتخذت منه موقف العداء؟ .**

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة بفروعها كان من النهجي أن يأتي البحث مكونا من فصلين تسبقهما مقدمة وتتبعهما خاتمة .

الفصل الأول خصصناه للحديث عن الكتابة النسوية الجزائرية وفيه حاولنا الحديث عن مشوار هذه الكتابة والمشاكل التي تواجهها وكذا المواضيع التي تطرقت إليها وحضور الرجل فيها.

أما الفصل الثاني فقد كان الحديث فيه عن صورة الرجل في رواية نسيان com وقمنا فيه بتصنيف الرواية والبحث عن صورة الرجل فيها والبحث عن معنى الرجولة في الرواية وكذا تحديد مفهوم الحب فيها .

ليختم البحث بأهم النتائج المتوصل إليها، منها ما تعلق بصورة الرّجل في الكتابة النسوية عامّة، وكذلك صورته في المدونة النموذج.

وبحثنا مثل أي عمل أكاديمي واجهته صعوبات تكمن أساسا في قلة المراجع التي تناولت الموضوع، وقد حاولنا تذليل هذه الصعوبات وتجاوزها بالاعتماد على بعض الكتب منها :

- محمد داود. الكتابة النسوية، التلقي والخطاب، والتمثلات .
- أحلام مستغانمي. رواية نسيان com.
- أحمد دوغان. الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر.

تمّ بحمد الله

الأدب النسوي هو مجموع ما أنتجته الكتابة النسوية ، وهو الأدب الذي تكتبه النساء وكذلك قد يعني الأدب الذي يكتبه الرجل عن المرأة، ولقد تعددت الدراسات في تحديد مفهوم هذا المصطلح، بحيث نجد إبراهيم خليل يعرفه بأنه "هو الإبداع والفن الذي يؤكد وجود سرد نسائي وآخر رجالي ذكوري لكل منهما هويته وملامحه وخصوصياته التي تميزه وتكسبه صيغ خاصة به"[1].

من هنا نفهم أن الأدب النسوي جاء كرد فعل على السيطرة الذكورية على الحياة الأدبية فهو جاء لتحرير المرأة من عقدة الرجل وتحقيق المساواة بينهما، والمرأة من خلال كتاباتها الأدبية استطاعت أن تثبت استعدادها في منافسة الرجل وإيصال كلمتها والتعبير عن انشغالاتها و ميولاتها وفرض وجودها إذ" لطالما تكفلت الكلمة النسوية من خلال نصوصها وإبداعاتها المختلفة بمصيرها الذي ارتبط ارتباطا وثيقا بمصير أبناء جلدتها وشعبها الذي يحتضنها وتحتضنه بتاريخه وثقافته. وقد حاولت المرأة إعادة صياغة واقعها من خلال نصوصها التي حملت دلالات الألم المتعة، والولع و العذاب... "[2] .

فإلى أي مدى استطاعت المرأة أن تتواصل مع أهلها من خلال كلمتها؟

وهل تمكنت من إيصال مشاعرها من ألم وحزن و فرح إلى الآخر أي الرجل؟

وهل نجحت في كسر كل تلك القيود التي كانت مفروضة عليها؟

1 إبراهيم خليل. النقد الأدبي من المحاكاة إلى التفكيك. ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان 2003. ص 143.

2 محمد داود و آخرون. الكتابة النسوية، التلقي، الخطاب و التمثلات، دط، المركز الوطني للبحث والآنتروبولوجية الاجتماعية والثقافية، ليون 2010. ص 12 .

1- ولوج المرأة الجزائرية لعالم الكتابة :

إن الحديث عن الكتابة النسوية ونتاجها في الجزائر يشوبه الكثير من الغموض وذلك يعود لطبيعة المجتمع الجزائري وتكوينه، ذلك أن الإبداع فن يحتكم لقاعدتي الموهبة والحرية إلا أن عنصر الحرية ولاسيما المتعلقة بالمرأة فهي محددة بقوانين المجتمع والأسرة من عادات وتقاليد تجعل من تلك الحرية موضوعا للنقاش والجدل. فالرواية النسوية أصبحت " الميثاق الأنثوي الذي تسعى فيه المرأة لحماية وجودها المؤنث من تسلط الثقافة الذكورية، لكن ظلت أقصد المرأة على الهامش لاسيما فيما يتعلق بسياق التجربة مع الآخر، ومدى تأثرها بمقولاته إيجابا وسلبا . ذلك أن نظرة المجتمع لها ما تزال تقليدية الطابع. فهي الطرف الأضعف العاجز عن تمثيل نفسه والذي ينبغي أن يُمثّل"[1] . تلك هي طبيعة تفكير المجتمع الشرقي عامة والجزائري بالخصوص والتي تعود جذورها للأعراف والتقاليد المتوارثة التي تحول دون السماح للمرأة بأن تكتب وتعبر عن مشاعرها وطموحاتها.

ولعل هذا ما دفع بإحدى الكاتبات للتساؤل" لماذا تجيد الثقافة صنع أقفال من حديد وأكفان وحلقات وحبال للنساء فقط. فيما يطير الرجال بعيدا عن سطوة ثقافتهم"[2]. بحيث أن المجتمع شديد الحرص فيما يتعلق بالمرأة وحريتها، فهو سيدها والرقيب عليها يسيرها حسب مصالحه وأهوائه.

ولقد تعمّد الرجل تهميش المرأة والتقليل من قيمتها خاصة في قدرتها على ممارسة اللغة والكتابة وهذا باعتبار أن " اللفظ فحل ذكر والمرأة معنى، ولاسيما وأن المعنى خاضع و موجه بواسطة اللفظ. وليس للمعنى من وجود أو قيمة إلا تحت مظلة اللفظ ...أخذ الرجل (الكتابة) وترك

1 نهال مهيدات. الآخر في الرواية النسوية العربية، في خطاب المرأة والجسد والثقافة، ط1، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، 2007. ص 1.

2 بدرية البشر. الأرجوحة، دط، دار الساقي، بيروت 2010. ص 154.

المرأة (الحكي). وهذا ما أدى إلى إحكام على الفكر اللغوي والثقافي وعلى التاريخ من خلال كتابة التاريخ بيد من يرى نفسه صانعا للتاريخ»[1].

وعلى الرغم من أن التاريخ نفسه يشهد على وجود أسماء كثيرة أثبتت وجودها في مجال الإبداع الفني ولاسيما في الشعر مثل: الخنساء ورابعة العدوية و خولة بنت الأزور إلى غيرهنّ ممّن تركن بصمتهنّ، إلاّ أن تدوين التاريخ بأقلام الرجال الذّين عمدوا على تزويره وتحريفه فقط لكي يتماشى مع نزعتهم الذكورية وحب التفوق والتسلط.

كما أن تلك النظرة الفوقية إلى المرأة وحصرها دائما في نطاق ضيق حال دون ظهور كتابات نسوية إذ تعد «المرأة موضوع لغوي وليست ذاتا لغوية، هذا هو المؤدى الثقافي التاريخي العالمي عن المرأة، وفي كل ثقافات العالم تظهر المرأة على أنها مجرد معنى من معاني اللغة»[2].بمعنى أن المرأة كانت موضوعا لكتابات الرجل، فيعبر عنها كما يريد ويعطيها الصفات والأدوار التي تناسبه وتخدم نصوصه، كما وضع لها حدودا وقواعد تسير عليها كحرمانها من الكتابة، وترك المجال مفتوحا أمامها في مجال الحكي والقص وهو ما حدث مع "شهرزاد" التي مارست فعل الحكي وأنتجت لنا من أروع ما أبدعت فيه المرأة، حكايات "ألف ليلة وليلة"، التي سمحت للمرأة أن تسبح بخيالها وتبدع لكن في مجال الحكي فقط.

إن الواقع التاريخي والسياسي الذي أحاط بالأنثى على مر العصور، والذي كان مقيدا لها ومعيقا إياها ومحددا لأدوارها في الحياة جعل من هوية هذه الأنثى وثقافتها مهزوزة. و إذا ما عدنا إلى اللغة نفسها وجدنا أنها وضعت تاء المؤنث في الدرجة الثانية بعد الذكر المتعالي إذا أن «تاء

1 عبد الله الغذامي. المرأة واللغة، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء 1997.ص7 .
2 المرجع نفسه. ص8 .

المؤنث في اللغة العربية تحتل الدرجة السفلى أو الدرجة الثانية بعد الذكر المتعالي، ولو عدنا إلى ضمائر اللغة : أنا– أنْتَ– أنْتِ نجد ضمير المتكلم "أنا" بألف مد طويلة يعانق السماء ويحمل من السمو والرفعة والتبجيل ما يجعله واقفًا فوق الجميع. ثم يأتي في المرتبة الثانية المخاطب المذكر "أنت" ثم بدرجة أقل يأتي ضمير المؤنث "أنت" مع خفضه أي مع نزوله والتصغير من شأنه صحبة حروف مكتومة خانقة للأنفاس»[1].

وهي المعاناة نفسها التي تتحدث عنها الروائية فضيلة فاروق في روايتها "تاء الخجل" فتقول «منذ العائلة...منذ المدرسة...منذ التقاليد منذ الإرهاب كل شيء عنهن تاء الخجل[2]».فهي تصف لنا الظلم والتعسف والقهر الذي طال المرأة وشخصيتها والذي خنق صوتها وسط عالم الذكورية، وقد عانت المرأة من الاضطهاد وسط المجتمع ووسط أهلها بحيث « كلنا يدرك أن التاريخ لم يعط المرأة من الحرية ما أعطى الرجل. والرجل نفسه إذا وقع تحت طائلة الاضطهاد قد يصبح في الوقت نفسه مضطهدا للمرأة الأخت والزوجة والأم...»[3].

وبمحاولة المرأة الدخول إلى عالم الكتابة فإنها أكيد تقف أمام صعوبات وعراقيل كثيرة ذلك لاختلاف عالم الكتابة عن العالم الذي عهدته، أي عالم القص والحكي فما هو منفذها ومخرجها أمام هذه الوضعية الجديدة عليها؟.

ونظرًا لطبيعة عالم الكتابة المختلف عن بيئة المرأة وعالمها فهل« بيد المرأة أن تكتب وتمارس اللغة واللفظ الفحل، وتظل مع هذا محتفظة بأنوثتها أم أنه يلزمها أن تسترجل لكي تكتب وتمارس لغة

1 ينظر: حسن العباس. الحرف العربي والشخصية العربية، ط15، دار أسامة، دمشق 1992. ص135، 341.
2 فضيلة الفاروق. تاء الحجل، ط1، رياض إدريس، بيروت 2003. ص 1 .
3 حسن المناصرة. النسوية في الثقافة والابداع، دط، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن 2013. ص 15.

الرجل...؟»[1].إنها تقف الآن أمام تحد كبير أن تحافظ على أنوثتها وتعبر عن نفسها أو تتخلى عن نفسها وتلبس ثوبا آخر لكي تمارس لغة الرجل.

و باختيار المرأة للقلم لكي تعبر به عن وجودها وتوصل صوتها فإن ذلك يخلق لها من المشاكل الكثير، وهو ما تعبر عنه الروائية السورية " روزا ياسين حسن" قائلة: «إن المرأة تعاني في حقل الكتابة أكثر من الرجل. إذ ترى أن للإبداع بصورة عامة ضريبة يدفعها المبدع، فما بالك إن كان المبدع أنثى والكاتبات دفعن أثمانا أخرى مباشرة كونهن نساء في هذا المجتمع العربي ويخضعن لمنظومة اجتماعية معينة...»[2].

إن قلعة الكتابة محفوفة بالمخاطر والعقبات خاصة في طريق المرأة ولعل هذا ما يفسر تأخر ظهور الكتابة النسوية بالتزامن مع كتابة الرجل وهو ما توضحه لنا "زهور ونيسي" في قولها: «إن المرأة في كل مكان من الدنيا تعيش ظروف صعبة وتعاني من أفكار و ذهنيات مريضة. لذلك فإن الكتابة عندها مشروع حياة ومشروع حرية لكنها كثيرا ما تجهض قبل أن تولد»[3].

إذ يعود السبب وراء ندرة الكاتبات هو حواجز التقاليد حيث أن الكثير من الأسماء ما تزال تنشر كتاباتها تحت أسماء مستعارة أو تشير لأسمائها برموز، إنّه القهر والألم الذي يعيشه المبدع وهو ما عبرت عنه الكاتبة اللبنانية "هدى بركات"« نكتب...نبعث ما يشبه تلك الرسائل التي تودع

1 عبد الله الغذامي. المرجع السابق،ص7 .

2 صالح مفقودة. مقال حول النسوي في الأدب الجزائري المعاصر، موقع /www.palmoo.net: //http

3 زهور ونيسي. ملف حول المرأة والابداع، مجلة حضور،ع1، دورية تصدرها جمعية الحضور الثقافي، الجلفة الجزائر 1996. ص 18 .

زجاجة وتلقى في مياه البحر. ولو كان المرسل مستتبا في يأسه الكامل لما أرسلها...إنه على الحافة على الصراط الذي يجعله بين صورة القعر وصورة عينان تقرآن»[1].

وهي المعاناة نفسها التي تتحدث عنها الكاتبة الجزائرية "جميلة زنير" حينما تصف انتحار الشاعرة " صفية كتو" بقولها «الموت المأساوي رسالة احتجاج قاسية اللهجة من ذات كاتبة أنثوية عانت القهر لا لشيء إلا لأنها متهمة بخطيئة الكتابة"[2].

كما تصف لنا الكاتبة نفسها معاناتها الخاصة فتقول:« كنت أكتب من غير أن يطلع أحد على كتاباتي أو يشجِّعني حتى على مواصلة الكتابة. فأنت تلاحظ أن القمع ينطلق من الأسرة إلى المجتمع (القبيلة)...هذا المجتمع القبلي الذي يمارس عليك قمعًا أشدُّ و أقسى. عدم الإهتمام بما تكتب فهو لا يشجِّعك لأنه يرى هذه الأشياء ضربا من العبث وتدخل في خانة لا يجوز»[3].

ولقد ظل الصوت النسائي في الأدب الجزائري بعيدًا عن الساحة الفنية ويمكن القول بأنه وليد السبعينات، وتعد رواية "من يوميات مدرسة حرة" للروائية "زهور ونيسي" 1979 أول رواية فعلية. وكان هناك أيضا مشروع رواية في أدب الراحلة "زوليخة السعودي" إلا أن رحيلها حال دون ذلك. ويعود تأخر ظهور هذا الأدب إلى السياسة الاستعمارية المناهضة للغة العربية في حين شجع لغته الأمر الذي سمح لكثير من النساء الجزائريات أن يتخذن من اللغة الفرنسية وسيلة للكتابة.

كذلك يعود تأخر الكتابة النسوية بالجزائر إلى «التقاليد الاجتماعية التي كانت تنظر إلى المرأة نظرة دونية ولا تزال إلى يومنا هذا في كثير من مناطق الوطن... نظرة دونية تنطوي على كثير

1 صالح مفقودة. النسوي في الأدب الجزائري،ص3 .
2 نفسه.ص3 .
3 نفسه. ص 4 .

من الاحتقار وترى بأن تواجدها في الحركة الاجتماعية والثقافية والأدبية يثير الفتنة ويشجع على الانحلال مما كبلها وفرض عليها ظروف العزلة والتجميد لطاقتها الإبداعية بل ومحاربتها وإن حاولت ذلك»[1].

ولكن بعد الاستقلال وتحسن الظروف السياسية و الاجتماعية باتت المرأة العربية والجزائرية خاصة مدركة لحقوقها ومكانتها إذ يقول الأستاذ "حفناوي بعلي" «إن أهم عوامل يقظة المرأة العربية يعود أولا للحركة النسوية العالمية...ثانيا تولد الوعي لدى المناضلات من النساء بأوضاعهن الاجتماعية و الجنسية وهناك عامل آخر هو تيار الإصلاح وما كان له من دور فعال و أثر إيجابي في بلورة الوعي الإنساني خاصة»[2].

لقد مارست المرأة الكتابة وتحدت الرجل بقلمها و نافسته في عالم كان هو المسيطر عليه لمدة من الزمن، لتثبت له بأنها تستطيع أن تكون مثله، أن تنتج وتبدع فيما يبرع هو فيه، وتمارس اللغة «بوصفها كاتبة ومؤلفة، بوصفها صوتًا مستقلاً، وبوصفها ذاتًا تنشئ وتبدع ولم تعد مجرد موضوع لغوي أو رمز شعري أو أداة سردية»[3]. لقد جعلت المرأة من الكتابة وسيلة لكي تؤكد على وجودها ووعيها برسالة الفن، ولتثبت لنفسها ولغيرها أي الرجل بأنها تستطيع أن تكون منتجة ومبدعة.

وبخوض المرأة لهذه المغامرة ودخولها معترك الكتابة ثمن كبير إذ "تمد المرأة يدها إلى المحظور إلى آلة لا تجربة لما فيها وتجهل أنها سامة وأن القلم ألم. ولذا فقد دفع جيل الرائدات ثمن

1 يمينة عجناك. قضايا المرأة في الكتابة النسائية في الجزائر، زهور ونيسي نموذجا، العدد3، مجلة التبيين الجاحظية ، 2011 ، ص 94 .

2 محمد داود و آخرون. المرجع نفسه، ص 10 .

3 عبد الله الغذامى. المرأة واللغة، ص 129 .

هذه المغامرة الجديدة"[1]. لكن هذه المغامرة الجديدة على المرأة جعلتها تعاني كثيرًا، سواء من ناحة التمييز الذي طال كتاباتها وكذا القراءة الخاطئة لها، أو من ناحية التهميش والرفض من قبل المجتمع وخاصة من قبل النقاد بحيث «دفعت الظروف بعض الكاتبات لأن يخترن بطلاً ذكرًا بدلا من بطلة نسوية لأعمالهن حتى يضفن عليها خبرة اجتماعية أعمق وأوسع . وكأن النساء لا يمكن أن يمتلكن مثل هذه الخبرة، ويمثل هذا الموقف أعلى درجات الاستلاب لأن المرأة الكاتبة تروج في مثل هذه الحالة بصورة ما لاستلابها وتدني منزلتها»[2].

ونظرا للظروف التي عاشتها الجزائر خلال الفترة الاستعمارية وما تلتها من أزمات فإن الأكيد أن هناك أدب جزائري مكتوب باللسان الفرنسي ومنه أدب نسوي وفي هذا الصدد يقول أحمد منور

« و أما بالنسبة إلى الأدب النسوي المكتوب باللسان الفرنسي بداية من سنة 1954 لم نعثر إلا على عملين أو ثلاثة لم تأكد. وبرزت بروزًا كبيرا في فترة الثمانينات و أثبت وجوده في العشرية الأخيرة من القرن العشرين، ولعل آسيا جبار وطاوس عمروش وجميلة دباش من أهم تلك الأسماء»[3].

ويمكن تفسير لجوء المبدعات الجزائريات واختيارهن الكتابة باللغة الفرنسية يعود بالدرجة الأولى إلى تلك الحرية التي تمنحها تلك اللغة للمبدع، والتي تقابلها الرقابة المستمرة واللصيقة على اللغة العربية كما أن التحرر وحرية التعبير لدى الغرب تشجعان المبدع على اختيار اللغة الفرنسية واللجوء إليها، وهو ما تؤكده الروائية "آسيا جبار" فهي ترى بأن « أصل العربي والإسلامي لا يمكن أن يوفر لها مقامًا دائما، لأنها تعتقد أن الإسلام يعتبر المرأة عابر سبيل، لا يجب ولا يحق لها أن

1 عبد الله الغذامى ، المرجع السابق ، ص 131 .

2 شعبان بثينة . مائة عام من الرواية النسوية العربية، ط1، دار الآداب، بيروت 1990. ص11.

3 أحمد منور. الأدب الجزائري باللسان الفرنسي، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007. ص 106.

تطالب بمقام. دائم أن اللغة الفرنسية باعتبارها لغة خارج الإسلام تمكنها أن تتكلم بأكثر حرية...والتقاليد الإسلامية مترسخة في اللغة العربية»[1].

هناك من المبدعات من أجبرتهن الظروف على الكتابة باللغة الفرنسية، سواء لعدم إتقانهن للغة العربية أو لعيشهن في الغرب، لكن هناك من اخترن اللغة الفرنسية وسيلة للكتابة عن قناعة وهو ما نجده عند آسيا جبار التي فضلت أن تكون اللغة الفرنسية هي اللغة الأساسية في كتاباتها إذ «تقرر أن اللغة الفرنسية ستكون اللغة التي ستكتب بها. فهي تعود إليها ولكن بشخصية ثقافية أصيلة وقوية. تصبح اللغة الفرنسية مجرد وسيلة تصب فيها حمولة هويتها الشخصية»[2].

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هل يمكن اعتبار الأدب النسوي المكتوب باللغة الفرنسية أدب نسوي جزائري أم لا؟

هذه القضية أثارت جدلاً واسعًا بين النقاد وكانت محل رفض واستهجان من بعضهم إذ نجد مالك حداد « يرفض هذه التسمية وقد عبر عن هذا الرفض في حوار له أجرته معه جريدة "لاكسيون" الفرنسية بتاريخ 1972/01/16 وقد أعطى له اسمًا آخر قلبه رأسا على عقب ليصبح "الأدب الفرنسي ذو التعبير الجزائري"...فهو يؤكد من جهة على الروح الجزائرية التي كتب بها. وتجلت من خلال المضمون الذي عبر عنه ولكنه يعد فرنسيا بالنظر إلى وسيلة التعبير ألا وهي اللغة التي كتب بها»[3].

1 محمد محمد داود و آخرون .ص 109.

2 نفسه. ص 109 .

3 أحمد منور. مرجع سابق، ص 17.

إذ لا يختلف اثنان على أن هذا الأدب كتب بقلم جزائري وعبر عن قضية جزائرية وانتماء جزائري، إنّما الإختلاف فيه يكمن في تلك اللغة التي فرضتها كما ذكرنا ظروف خاصة ولكن لا يمكن القول بأن كل أدب كتب باللغة الفرنسية هو أدب فرنسي ذلك أن المواضيع التي عالجها وتناولها تخص الجزائر وبروح جزائرية، كما لا يعني هذا أن أصحابه كلهم يعيشون في الخارج إنما هناك فئتان « فئة تعيش في الجزائر وتكتب عن الجزائر وتنشر أعمالها أو بعض أعمالها في الجزائر وفئة تعيش خارج الجزائر وتنشر أعمالها في فرنسا وكندا وبلجيكا وسويسرا... »[1].

وقد استفادت المرأة الجزائرية المبدعة و الروائية من تحسن الظروف السياسية والاجتماعية وكذا فتح المجال أمام المرأة لتشارك في مجالات الإبداع وفي "جانفي 1970" «برزت أول مجلة نسوية في الجزائر وهي "الجزائرية اللسان المركزي للإتحاد الوطني للنساء الجزائريات" والتي ترأستها القاضية والروائية زهور ونيسي»[2]. والتي فتحت المجال لكثير من النساء وحتى الرجال لنشر كتاباتهم فيها، ويمكن القول أن معظم الكاتبات قد لجأن إلى هذه المجلة التي احتضنت أقلامهن ليعبّرن عن معاناتهن ولو بأسماء مستعارة خوفا من ردود أفعال المجتمع، وهو ما حدث مع الروائية "آسيا جبار" والتي اختارت لنفسها هذا الاسم بدلا من اسمها الحقيقي "فاطمة الزهراء إمالاين" وذلك خوفا من رد فعل أسرتها والمجتمع على كتاباتها. كما أن العادات والتقاليد الجزائرية لم تكن تسمح للمرأة أن تجهر باسمها وتعبر عن خلجات نفسها.

وهي المعاناة نفسها التي تتحدث عنها الكاتبة الجزائرية "جميلة زنير" في الرسالة التي أوردها "عمر أزراج" في العدد الخاص من مجلة آمال " الحضور في القصيدة" فتقول : « أعيش تجربة محنة

1 أحمد منور. مرجع سابق ، ص 173.

2 ينظر : أحمد دوغان. الصوت النسائي في الأدب الجزائري المعاصر، دط، الشركة الوطنية للطبع والتوزيع، الجزائر 1982. ص 118 .

الحصار والأسوار أيها الصديق لقد فقدت ميزة النظر الطبيعي للعالم ، لأن الآباء والمجتمع علمونا التحديق إلى الكون من خلف الحجاب... إن والدي لم يفهمني كأديبة تريد ممارسة حرية العيش»[1].

إن جرأة المرأة واختيارها للكتابة للتعبير عن مشاعرها وهمومها شيء جديد على المجتمع الجزائري المحصن بعاداته وتقاليده والمعروف بطابعه المحافظ مما خلق لها مشاكل كثيرة ومعاناة شديدة. إذ تصف لنا الكاتبة "زينب الأعوج" ما تعانيه المرأة المبدعة في مجتمعنا فتصف المجتمع الجزائري بالمتخلف والمريض والظالم فتقول: « مجتمع مثقل بالتقاليد البالية، بإرث طويل من الظلم والفكر الإقطاعي، إنه مجتمع يمشي على كثير من جثث البريئات»[2].

ولكن ومع تحسن المستوى الثقافي والتفتح على مختلف ثقافات العالم وما جاءت به العولمة أصبح الآن بإمكان المرأة أن تعبر وتجهر بصوتها من دون خوف فهي الآن أصبحت مؤلفة وبطلة ولم تعد مجرد مادة لغوية يعتمدها الرجال في كتاباتهم فهي الآن «تخرج من زمن الحكي وتتحول من كائن مندمج إلى ذات مستقلة تتكلم بضمير الأنا والخطاب النهاري المكشوف»[3].أي أن المرأة وبعد أن كانت ولزمن طويل تمارس فعل الحكي أصبحت الآن مستقلة تعبر عن نفسها وتتكلم وتجهر بصوتها من دون خوف من ذلك، لأنها باتت ترى ذلك حقا من حقوقها الطبيعية ولذا فإن «كتابة المرأة جاءت كطارئ لغوي وكحدث جديد على ثقافة قد ترسخت تقاليدها و أعرافها حسب قواعد الفحولة»[4].

1 أحمد دوغان. مرجع سابق، 160.

2 صالح مفقودة. مرجع سابق، ص 5.

3 عبد الله الغذامي. المرأة واللغة، ص 131 .

4 نفسه، ص 208.

لقد استطاعت المرأة الجزائرية وعلى الرغم من كل الظروف أن تجعل من مأساتها ومعاناتها سلاحا لها لتدافع عن نفسها، وقد أصرت وبكل عزم وثقة على النهوض بوضعها. ولهذا الأدب أسماء كثيرة أثبتت ولا تزال تثبت وجودها وفعاليتها، ونذكر من تلك الأسماء على سبيل المثال لا الحصر آسيا جبار، أحلام مستغانمي، زهور ونيسي، مليكة مقدم، فضيلة الفاروق...إلى غيرها من الأسماء التي ذاع صيتها في الساحة الأدبية وباتت منافسة لكثير من الأسماء العربية والعالمية.

2- مشكلة التصنيف والتمييز في الكتابة :

لقد عاشت المرأة الجزائرية ما يشبه الصحوة الأدبية في عصرنا الحديث نظرًا لما شهده العصر ومتطلباته من انفتاح وتطور في شتى المجالات العلمية والثقافية والأدبية وهو ما سمح للمرأة المبدعة بالاستفادة من هذا التطور والدخول إلى حقل الكتابة، وقد حصدت لنفسها مكانة هامة فعبرت عن مشاعرها وعن مثيلاتها وحاربت من أجل ما تؤمن به إذ أن « الخروج من الصمت والاتصال بالعالم الخارجي واقتحام الفضاء العمومي بواسطة القلم يقود المرأة إلى تجاوز بعض النظم الثقافية والتحول إلى لسان حال لكل من تم الإطباق عليهن بأساور الصمت»[1].

وقد شغلت الكتابة النسائية حيزا كبيرا في النتاج الأدبي وكانت الوتر الحساس الذي يتأثر بحركة الواقع ويؤثر فيها، إلاّ أنّ ذلك لم يشفع لها من التمييز وقد طال ذلك أدبها، إذ ينظر إلى أدب المرأة على أنه مختلف ومنفصل عن أدب الرجل وقد أطلقت عليه عدة تسميات منها: الكتابة النسوية، الأدب النسوي، الكتابة الأنثوية، كتابة المرأة... وغيرها من الأسماء المتداولة وسط النقاد.

وهذا الموضوع بالذات كان محل نقاش وجدل بين الباحثين من مؤيد ومعارض لهذه التسمية ومنهم الناقدة "نازك الأعرجي" التي ترفض استخدام مصطلح الكتابة الأنثوية فبحسبها «الأنوثة كمفهوم تعني

1 محمد داود و آخرون. مرجع سابق، ص 14.

ما تقوم به الأنثى وما تتصف به وتنضبط إليه فلفظ الأنثى يستدعي على الفور وظيفتها الجنسية وذلك لفرط ما استخدم. وتقترح اسم آخر هو مصطلح الكتابة النسوية»[1].والناقدة هنا تسعى إلى صياغة اسم بديل، لتخلق نوعا من التحرر من ذلك التمييز الذي طال الكتابات النسوية جراء تلك التسميات التي تطلق عليه. وفي السياق نفسه نجد " لويسي يعقوب" «ترفض تسميته بالأدب النسوي، إلا أنها تقر بوجود أدب أنثوي وتفضل تسميته بالأدب الأنثوي سواء الذي كتبه الرجل عن المرأة أو الذي كتبته المرأة.»[2] بحيث أنه لا يمكن أن يكون الأدب نسويا أو ذكوريا، ذلك أن النص كما هو يعد أدبا حتى ولو اختلف جنسه مبدعه، وقد استطاعت المرأة وبكل تفوق وقوة أن تعبر عن قضاياها، واهتماماتها و معاناتها الداخلية ذلك أنه لا يمكن القول عن أي رواية أنها نسوية بمجرد أن تكون قد كتبت بقلم نسوي «بل لابد للرواية التي تحمل صفة النسوية ، أن تكون معنية بصورة جزئية أو كلية بطرح قضية المرأة بالمعنى الجنسوي أو الجندري، وليس كتصنيف طبيعي لوجود شخصيات من الرجال أو النساء داخل النص الروائي»[3].بمعنى أنّه لا يمكن أن تطلق صفة النسوية على أية رواية مجرد أن المرأة هي التي كتبتها أو لأن الشخصيات الموجودة داخل الرواية هي نسوية، والبطلة فيها امرأة بل لابد للرواية أن تحمل ميزات وصفات نسوية أنثوية، و أن تعبر عن قضية تخص المرأة وانشغالاتها، وأن تهتم الرواية في الوضع الجنسي للمرأة المختلف عن الجنس الآخر، وكذا كشف ورصد أزقة المرأة الداخلية و عوالمه المتقلبة ومعاناتها التاريخية.

---

1 نفسه. ص 34.

2 ينظر: لويسي يعقوب. لغة الشعر والأدب في كتابات المرأة العربية، الدار العربية للكتابة، تونس 2001. ص 121.

3 نزيه أبو نضال. تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية وبيوغرافيا الرواية النسوية العربية، دط، منشورات رشاد بيرس بيروت 2004 .ص 11.

كما أن ذلك الصراع بين ركني المجتمع الذكوري والأنثوي، ولمن تكون السيادة والسيطرة والاعتراف بالحركة النسوية، وقدرة المرأة على التحرر والتميز لكن تبقى كتابات المرأة تواجه بالتنكر وهو ما تؤكده الأديبة "سلوى بكر" أن السبب الرئيس لكل هذه المشاكل هو الرجل إذ تقول أن «المرأة المثقفة في الأدب تبدو عادة قبيحة بنظارة سميكة، وأنها معقدة نفسيا و أحيانا مبتورة لا تثير لعاب الذكور للاقتراب منها، وبالتالي لدراسة ما تكتب»[1].والكاتبة هنا توضح لنا صورة المرأة المثقفة وبالخصوص الكاتبة المبدعة، والتي ينظر إليها الرجال وخاصة النقاد منهم و إلى أدبها نظرة دونية، ويعتبرونها مريضة ومعقدة ويعتبرون جرأتها قبحًا منها، كما أن نظرتهم لنصوصها هي نظرة ناقصة و يعتبرون نصوصها غير جديرة بالاهتمام و الدراسة.

إن النظرة إلى الأدب النسوي نظرة ناقصة ويفتقد إلى القدرة الفنية والجمالية، وكذا اعتباره أدب يعبر فقط عن نظرة المرأة السطحية للأشياء، ولعل هذا السبب الذي جعل معظم الأديبات يرفضن المصطلح النسوي أو النسائي ذلك انه يشير إلى تقزيمهنّ والتقليل من قيمة ما تنتجه المرأة و السؤال هنا : إذا كان الأدب أدبا مهما كان، والمهم هو مضمونه فلماذا الأدب النسوي يخضع لكل تلك الرقابة؟ لما لا يمكن الحكم على قيمة العمل الأدبي الفنية بمضمونه وليس بجنس مبدعه؟.

نجد الروائية" فضيلة الفاروق" تصف ذلك التشويه الذي يلحق بنص المرأة من قبل النقاد فتقول : « إن ما تكتبه المرأة اليوم يخضع لنوع جديد من التشويه، ألا هو التشويه والقراءة الخاطئة للنص، فغالبية النقاد يتعاطون مع النصوص النسائية على أساس الفروق الجنسية بين الجنسين»[2].

1 أشرف توفيق. اعترافات نساء أدبيات، دط، دار الأمين، 1998. ص 15.

2 فضيلة الفاروق. التجربة الابداعية النسائية في الجزائر، العدد 36 ، مجلة نترومي، جويلية 2009. ص 10.

كما أن هناك من الكتاب من يفضلون مصطلح المؤنث والتأنيث والنص الأنثوي على النسوي والنسائي، ونجد هذا في كتاب "النص المؤنث" لـ " زهرة جلاصي" فهي تعتمد مصطلح "النص المؤنث" كبديل للمصطلح الشائع : النسوي أو الكتابة النسوية حيث تقول:« لماذا نسميه مؤنثا؟. من المؤكد أن هذا الخيار ليس خيارا جنسيا محضا، إنه خيار استعاري وجمالي ، لذلك سنحتاج لغاية مقاربته إلى منهج أدبي، لا إلى تحليل إيديولوجي أو بيولوجي ، فالنص المؤنث كنص حامل لسمة العدول هو استعارة وعلامة حقيقة إن دعا الأمر»[1].بمعنى أن تسمية النصوص التي تكتبها المرأة بالأنثوية، إنما هو علامة جمالية وخصوصية فنية تجعل منها تتميز عن غيرها من النصوص الأخرى.

ومهما تعددت تسميات الأدب الذي تكتبه المرأة واختلفت إلآ أنه لا يوجد أي فرق بين نص نسوي ومؤنث وأنثوي، وكل هذه التسميات لها دلالة واحدة ولا يوجد أي فرق بينها، ويبقى الاستعمال الأكثر تداولا وانتشارا هو الأدب النسوي أو الأدب النسائي. كما أن قيمة الأدب الفنية والجمالية لا تكمن في جنس مبدعه، إنما في تلك القدرة على الخلق والإبداع، ولكل ميزته وخاصيته التي تميزه عن غيره. وتبقى معرفة واكتشاف جنس صاحب النص أو كاتبه هي مهمة القارئ الجيد إذ بمجرد اطلاعه على النص يكتشف ذلك نظرًا لطبيعة الاختلاف بينهما فكريا.

كما أن الأدب النسائي يتضمن تجربة المرأة من حياة فكرية وانفعالية، والأكيد أنه مختلف عن تجربة الرجل وأدبه وذلك يعود طبعا لطبيعة المجتمع التي تعطي الأولوية والأفضلية للرجل وبالتالي نظرة الجنسين الذكوري والنسوي للأشياء هي نظرة مختلفة تنتج أدبا مختلفا.

1 زهرة جلاصي. النص المؤنث، دط، دار سراس، تونس، 2000. ص 10 .

3- موضوعات الكتابة النسوية الجزائرية وحضور الرجل فيها :

لقد أخذ النص النسوي مكانته في المشهد الثقافي العربي مثل: مليكة مستضرف، وحليمة زين العابدين، وزهور كرام و ربيعة السالمي...وغيرهن بالإضافة إلى نساء مبدعات جزائريات مثل: زهور ونيسي والراحلة أسيا جبار. نوراة الأحرش، مليكة مقدم، والراحلة زوليخة السعودي ومبروكة بوساخة والراحلة صفية كتو، لطيفة عثماني، زهرة ديك، أمال بشير، زينب الأعوج، هاجر قويدر، أحلام مستغانمي...الخ.

فالحديث عن الأدب النسوي الجزائري يدفعنا للبحث عن موضوعات هذا الأدب والقضايا التي يشغلها والتي نذكر منها الوطن الذي يشغل إحساسها و كيانها وترى أن وجودها مرتبط به بالإضافة إلى موضوع الرجل، إذ يمكن الجزم بأنه لا يخلو أي عمل أدبي نسوي منه، كما نجد مواضيع أخرى تناولتها المرأة في كتاباتها منها قضايا اجتماعية، سياسية وثقافية تهمها، بالإضافة إلى مواضيع أخرى.

3-1- الوطن :

منذ أن وجد الإبداع بات هناك علاقة تلازم بين الأدب وموضوع الوطن. إذ يمكن الجزم أنه لا يخلو أي عمل إبداعي نسوي أو غيره من موضوع الوطن ولو بمجرد الإشارة إليه، حيث «أصبح للوطن في الأدب النسوي الجزائري الحديث حضورا يكاد يكون عند بعض الشاعرات أساس التدفق العاطفي ومصدر إلهامهن... »[1].

1 ناصر معماش. النص الشعري النسوي العربي في الجزائر، دراسة في بنية الخطاب، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2003. ص 173 .

إذ نجد الكثير من الأديبات الجزائريات، قد تفنن في حديثهن عن الوطن و أثبتن في كل مرة انتمائهن للجزائر و إحساسهن به وبكل ما يحدث فيه ومن بين تلك الأسماء نذكر:

- **آسيا جبار**

روائية عرفت بكتاباتها الوطنية و حبها الشديد وتعلقها بوطنها الأم "الجزائر" وهو ما نجده في رواياتها العديدة والتي منها " وهران...لغة ميتة" إذ نجد أنها تذكر في هذه الرواية فترة جد حرجة من تاريخ الجزائر و هي العشرية السوداء وهو ما تؤكده مرة أخرى في روايتها "الجزائر البيضاء" والتي تصف فيها الأزمة الخانقة التي مرت بها الجزائر في تلك الفترة وهذه الروائية وعلى الرغم من كتابتها باللغة الفرنسية إلا أن ذلك لم يمنعها من أن تخص بلدها برواياتها المتألقة.

- **مليكة مقدم**

هذه الروائية الجريئة التي عملت على كسر الطابوهات بقوة كتاباتها وجرأة مواضيعها، قد خصت العديد من رواياتها للحديث عن الوطن، ونجد ذلك بارزا في رواياتها "المتمردة" والتي تقول فيها :« هنا بدأت الكتابة، الجزائر بطبيعة الحال، الجزائر بالنسبة لي، هي صحراء قبل كل شيء، كتبت عن البلد بعد سنوات من القطيعة في مكان الكتابة المعلق»[1].

وعلى الرغم من بعدها عن الجزائر وعيشها مغتربة عنه لمدة طويلة، إلا أن كتابتها في كل مرة تؤكد على إحساسها بقربها من وطنها وبانتمائها إليه وهو ما يظهر في قولها: «ولكن مأساة الجزائر فتحت من جديد، جراحات في داخلي، ندوب قديمة»[2].

1 مليكة مقدم. المتمردة، المركز الثقافي العربي، شبكة صخب أنثى الأدبية، ص 10.

2 نفسه. ص 11 .

إن ما تمر به الجزائر من أزمات يجعلها تسترجع ذكرياتها الأليمة وجروحها القديمة و مآسيها حين كانت تعيش في الجزائر والكتابة عن الوطن بالنسبة إليها هو عودة إليه فتقول :« في نهاية هذه العودة إلى الجزائر عبر الكلمات... لم تطأها رجلاي منذ رحيلي عنها... »[1]. ذلك أن القلم والكتابة يجعلان من الروائية "مقدم" تشعر بقربها من وطنها و عودتها إليه والحنين والشوق كبيران بداخلها وما يواسيها هو جرأتها على الكلمة .

- **أحلام مستغانمي**

لقد خصت وطنها بثلاثية شهيرة هي " ذاكرة الجسد 1993 ، فوضى الحواس 1997 ، عابر سرير 2003". فالوطن على امتداد أعمالها الروائية، وبالخصوص مدينة قسنطينة بجسورها المعلقة التي كانت مسرحا لأحداث رواياتها الثلاث. ومثال ذلك ما أوردته على لسان أحد أبطال رواية "عابر سرير" «ما كان لي يوما معها موعد سعيد، دوما غادرتها مفجوعا، رافضًا عقد ميثاق مع الوحل...لا أريد أن أكون هناك عندما تخلع قسنطينة حجارتها وتنزلق نحو وهد الهاوية»[2].

وهو الطريق نفسه الذي سلكته كل من ياسمينة صالح، زهور ونيسي، كريمة العمري وغيرهن من الروائيات اللواتي جعلن من الوطن دافعا وحافزا لكتاباتهن.

3-2- الرجل

لقد أبدعت الروائية الجزائرية في تصوير الرجل وفي إبراز صفاته من شجاعة وكرم ورجولة، وخيانة وظلم ...إلخ وكذا عملت على تصوير علاقته بها ومدى تأثيره عليها، وعلى حياتها وتفكيرها

1 مليكة مقدم. مرجع سابق، ص 65 .

2 أحلام مستغانمي. عابر سرير، ط2، منشورات أحلام مستغانمي، بيروت 2003.ص 9 .

وكذا مستقبلها، إذ لا تخلو رواية نسوية من ذكر الرجل بشقيه الجيد و السيئ ومن بين تلك الروائيات نذكر على سبيل المثال لا الحصر.

- **مليكة مقدم**

تقدم لنا الروائية في عملها المعنون "المتمردة" سيرة حياتها ومعاناتها و صراعها مع الرجل من أجل الكتابة، فهي تذكر لنا هؤلاء الرجال الذين مرّوا بحياتها، وعن الرجال الذين أحبتهم و أحبوها إذ تقول : «الرفيق الذي اخترته لنفسي. إذ كان بعيدا كل البعد عن نزوع الهيمنة الذكورية. فإنه دائما ما كان يتقي هذا النزوع، كما لو أنه شكل من أشكال العاهة، كان فقط يحس بالذعر حين يراني و أنا أوغل بعيدا في الكتابة، كان يخشى أن يفقدني»[1]. هذا النوع من الرجال بصفاته النادرة والمتميزة عن غيره من أبناء جنسه يبقى وجوده في حياة أي امرأة نعمة لها.

كما أدرجت الروائية في روايتها ثلاث أصناف من الرجال: الأول هو الحبيب المتفهم الصادق، الثاني: وهو الذي يمثل العائلة: الأب والعم ويجسدون القمع والسلطة، بالإضافة إلى اللذين حاربوا كتاباتها، أما الصنف الثالث فيمثل المثقفون، الذين يقدرون المرأة بما تقدمه ويشجعونها. وصفات الرجل عند "مقدم" هي: الرجل المحب، الرجل التقليدي المتشدد و المتعصب، الرجل المثقف المتفهم والمتحضر.

- **ياسمينة صالح**

جعلت هذ الروائية من الرجل من الرجل بطلا لروايتها " وطن من زجاج" والتي تعبر فيها عن قصة حب جميلة ومتشابكة بدأت من الطفولة. كما تصور لنا بطل الرواية على صحفي يعيش على مقربة الموت كل لحظة، ولكن يبقى وفيا لحبيبته ولحبه بالرغم من افتراقهما[2].

1 مليكة مقدم. المرجع السابق، ص 18 .

[2] ينظر: ياسمينة صالح، وطن من زجاج ، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2006، ص122.

وقد منحت أيضا صفة البطولة والشجاعة لبطل روايتها "بحر الصمت" ونجد أنها في كلا الروايتين تقدم لنا صورة رائعة للرجل المحن والوفي المخلص لحبيبته ووطنه والمساهم في تغيير واقعه ووضعه الاجتماعي . وفي كلا الروايتين تقدم لنا الكاتبة صورة رائعة للرجل المحب والوفي والمخلص لحبيبته ووطنه والمساهم في تغيير واقعه ووضعه الاجتماعي.

- **كريمة العمري**

لقد منحت الكاتبة صفتين اثنتين للرجل في روايتها " نقش على جدائل امرأة" وهما :

– الرجل الوفي المخلص لوطنه: يتمثل في الأب أو الوالد فتقول عنه : « قفازته البيضاء بياض سريرته وقلبه...وبزته الزرقاء زرقة البحر والسماء يزيدان من احترام الجميع له، لأنه يحترم عمله وعلمه... »[1].

– الرجل الخائن والإرهابي يتمثل في الحبيب فتقول عنه: « بقيت الأفعى التي صنعت تأكلني... وتدس سمها في قلبي...كما يدس شيوخك السم في فكرك... »[2].

فتجربة الروائية الشخصية هي التي دفعت بها إلى اعتماد هذا التصنيف بين الرجال من وفي مخلص نضالي إلى خائن إرهابي .

- **أحلام مستغانمي**

إختارت أحلام مستغانم لروايتها "ذاكرة الجسد" بطلا أرادت أن تكون صورته مثالية وبطولية وتمثل ذلك في شخصية كل من "خالد" و "السي طاهر" كما أنه هناك عدة شخصيات في الرواية ترمز إلى البطولة والشجاعة مثل الأخ والزوج العسكري و آخرون، والذي منعنا من سردها كلها هو

1 كريمة العمري. نقش على جدائل امرأة، دط، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2008. ص 95 .
2 نفسه، ص 99 .

أن الحديث فيها يطول ولا يمكن جمله في صفحة واحدة، إنما يتطلب ذلك عملا كاملا ونحن حاولنا أن نشير فقط إلى بعض الرجال في الرواية.

لقد أحاطت الرواية النسوية الجزائرية بكل الصفات الممكنة والصور المختلفة للرجل الذي يسيطر عليها واستغلها لمدة طويلة من الزمن إذ أن "الرجل في البنية السردية النسوية وجد في الحياة كي يضطهد المرأة ويذلها...لذلك يصعب أن نجد رواية نسوية لا تتناول هذا الجانب في شخصية الرجل بصفته شخصا تقليديا عنيفا في تعامله مع النساء من حوله و بالذات في المجتمعات الفقيرة شبه المتخلفة"[1].ومع كل تلك الصفات السلبية التي أدرجتها الرواية النسوية للرجل نجد أن البعض منها قد أنصفته ومنحته من الصفات الجيدة الشيء الكثير.

إن المرأة في رواياتها تجسد الواقع الذي يحيط بها، وتستوحي كتاباتها سواء من تجربتها الخاصة أو من تجربة نساء عشن حولها فتأتي بالقلم لتعبر عن تلك المعاناة وعن ذلك الظلم الذي لحق بها وبمثيلاتها من النساء من طرف الآخر أي الرجل فتعمل على فضحه والتهجم عليه.

لكن هذا لا يعني أن المرأة قد غيبت الجانب الجيد من الرجل فليس كل الرجال ظالمين ومستبدين بل يوجد فيهم من أحسن معاملة المرأة و أنصفها سواء في أسرتها أو في مجتمعها إذ نجد فيهم من أحسن معاملة المرأة و أنصفها سواء في أسرتها أو في مجتمعها، إذ نجد من الروائيات الكثير من أعطين صورا جيدة للرجل فمنها : الحبيب، الأخ ، الصديق، الأب الحنون...الخ.

كما أنه لا يمكننا أن نحكم على موقف الروائيات من الرجل من خلال مثال واحد أو رواية واحدة إنما يجدر بنا النظر إلى التجربة الروائية النسوية الجزائرية ككل وهي جد قوية الآن ويصعب

1 حسن المناصرة. قراءة في المنظور السردي النسوي، ص10 .

جمعها في عمل واحد، لذلك حاولنا أن نعطي ولو صورة بسيطة لهذا الموضوع والبحث عن صورة الرجل فيها وإعطاء مقاربة بسيطة لها.

ومنه فيمكن القول بأن صورة الرجل في الكتابات النسوية الجزائرية عموما تتراوح بين الجيدة والسيئة وهذا طبعا يعود إلى موضوع الرواية...إذ يمكن أن نجمل صفة الرجل وصورته في كتابات المرأة في صنفين أولهما الصفات الجيدة وتتمثل في : الوفاء ، الاخلاص، الصدق، الأمانة، الحب...الخ. الصفة الثانية وهي السلبية وتتمثل في: الخيانة، الغدر، الكذب، الخداع، النفاق، الظّلم التعصب...إلخ.

بالإضافة إلى موضوع الرجل نجد أن المرأة قد أبدعت في مواضيع أخرى سياسية و اجتماعية ثقافية مثل موضوع الأمومة و الطفولة ...وهذا نظرا لطبيعة المرأة الاجتماعية الثقافية.

1- تصنيف رواية نسيان com :

تعد رواية "نسيان com" العمل الروائي الرابع لأحلام مستغانمي بعد ثلاثيتها الشهيرة "ذاكرة الجسد ، فوضى الحواس، عابر سرير" وعلى ما يبدو فإن الكاتبة قد تخلت عن محطة الذاكرة التي شغلتها في ثلاثيتها، واختارت اللجوء إلى النسيان وذلك لمساعدة المرأة للتخلص من كل العلاقات العاطفية وخيباتها وهو ما جعل من نمط كتابتها يأتي مغايرا لكتاباتها السابقة .

"نسيانcom" رواية اجتماعية عاطفية، تعرض لنا فيها الكاتبة صورة المرأة في المجتمع وتدعو إلى ضرورة الدفاع عنها، وهي تبحث بداخل المرأة وتنقل لنا قصص حقيقية ونماذج واقعية لما تعانيه المرأة. فتطرقت الرواية للحديث عن الرجل بصفاته الرجولية، والمرأة بصفاتها الأنثوية وذلك من أجل العمل على استعادة روح المرأة التي تعاني وسط تقاليد وقوانين الحياة المجحفة، ويمكن اعتبار العمل مجرد سرد لتجارب صديقاتها في قالب روائي.

وقد أخذت أحلام في هذه الرواية دور المرشدة العاطفية للتائهات من النساء فتقول: «كتبت هذا الكتاب وحولي نساء، يخضن معارك بالسلاح الأبيض مع الماضي، صديقات يستنجدن بي لفظ الإشتباك بينهن وبين الذكريات، كما لو كنت من "رجال القبعات الزرقاء" المكلفين من جمعية الأمم للفصل بين طرفي النزاع»[1].

إذ بات للروائية مذهب عاطفي يتبعها فيه الكثيرون ويسيرون عليه فتقول: «أية مسؤولية أن أصبح شيخة طريق الحب، وأن يغدو لي أتباع ومريدون يسيرون على مذهبي العاطفي"»[2].

1 أحلام مستغانمي . نسيانcom ، ط1، ط3 ، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت لبنان 2010. ص24.
2 نفسه. ص 21 .

وترى الكاتبة أن النسيان هو الحل الوحيد للحد من معاناة المرأة ومآسيها وهي مستغربة إذا كان الرجل يستطيع أن ينسى بسهولة فلماذا لا تنسى المرأة؟. وهي الآن تطالب المرأة بحقها في النسيان بالمساواة مع الرجل في ذلك فتقول:« نحن نطالب بالمساواة في النسيان مع الرجال»[1].

كتبت أحلام مستغانمي هذه الرواية وهي تشعر بالألم والأسى لما آلت إليه حالة النساء ومن بينهن صديقتها التي ربطت حياتها برجل خائن غدر بها وتركها، لكنها مازالت تنتظر عودته، وهو حال الكثير من النساء الغبيات مثلما تصفهن أحلام، وقد قامت بتوجيه خطاب لهن يتضمن مواعظ ونصائح تعينهن على نسيان الماضي، وعلى أخذ المبادرة لحب جديد لكن مع الاحتراس باختيار الرجل المناسب لذلك.

وتشرح لنا الروائية كيف تورطت في هذا الكتاب، وكيف بدأت قصتها، والتي كانت في البداية نصيحة قدمتها لصديقتها التي وقعت في شرك الحب وباتت أسيرة لذلك الرجل الذي أحبته. فأرادت الكاتبة أن تساعدها على النسيان وعلى تخطي خيبتها في الحب. وحينما سمعت صديقاتها بكل تلك النصائح التي تقدمها طلبن منها تدوينها في كتاب يكون "دليلا نسائيا للنسيان" لتساعد به كل الفتيات اللواتي وقعن ضحية للحب، وأن يكون نصيحة لكل من تقبل على الوقوع فيه. وتنصح فيه المرأة بالصلاة والتقرب إلى الله فتقول :« صلي...ففي سجود قلبك نسيانه... »[2].

1 الرواية. ص 36 .

2 نفسه. ص 117 .

وتقدم لنا الكاتبة في روايتها قصص لعديد من النساء الغبيات كما تدعوهن اللواتي وقعن في الشرك وفي مصيدة الرجل وهي الحب وبقين مخلصات لحبهن وللماضي بالرغم من الجراح فتحاول مساعدتهن على الشفاء من جراح الماضي.

وقد أعطت رواية "نسيان com" نقلة جديدة للفن الروائي ذلك لاعتماد الكاتبة على أسلوب جديد في الكتابة وذلك يقوم على عرض قصص وأحداث بطريقة فنية رائعة، ولاحتواء الرواية على حياة واقعية اجتماعية ، وروح وطنية ويتمثل ذلك في وعيها وادراكها لكل ما يحدث في الوطن العربي من مؤامرات وخيبات وهزائم، واحتوائها على أفكار انسانية بأسلوب نقدي شعري فني جمالي، إذ تقوم الروائية بعرض المشكلة وتبحث عن السبب وراءها ثم تعطي حلولا لها بطريقة فنية جمالية. وهو ما جعل كتابات أحلام تتميز عن غيرها من الروائيات وهذا ما جعل الجمهور والقراء عليها كثيرا.

2-صورة الرجل في رواية "نسيان com":

لقد حاولت الروائية "أحلام مستغانمي" في عملها هذا أن تقرب لنا تلك الصورة عن علاقة المرأة بالرجل وأن تكشف لنا عن حقيقة ذلك الرجل والتي هي بطبيعة الحال مختلفة ومتعددة نذكر منها: الرجل الظالم، الخائن، المعقد، الوفي ...الخ.

- **الرجل الظالم:**

ترى الكاتبة أن هذا النوع من الرجال موجود وبكثرة في حياتنا وهو الذي يتلذذ بتعذيب المرأة ومعاناتها، فهو لا يستحق تلك الدموع التي تذرف من أجله فتقول: "هل من يخبرنا ونحن نبكي بسبب ظلم من أحببنا أننا سنضحك يوما مما يبكينا؟"[1].

1 الرواية. ص 18 .

وقد يعتبر هذا الرجل نفسه سيدا على المرأة وحاكما عليها في كل مراحل حياتها لذلك فهو ظالم لها في كل علاقة تربطه بها، وتعطي لنا الروائية مثالا عن ظلم هذا الرجل للمرأة التي أحبته فتقول:« كلما هاتفته كان يقطع الهاتف في وجهها، و إن دقت بابه رمى عند الباب بأشيائها حتى بدأت تراودها فكرة الانتحار لمقاصصته بموتها»[1].

والروائية توجه خطاب مباشر وصريح لكل النساء، و تحذرهن من هذا النوع من الرجال ومدى تأثيره على حياتهن فتقول لهن «أيتها العاشقات الساذجات الطيبات الغبيات ...ضعن هذا القول نصب أعينكن: ويل لخل لم يرى في خله عدوا»[2].

و أفضل رد على هذا النوع من الرجال الظالمين هو نسيانهم ومحوهم من حياتنا، وعدم فتح المجال أمامهم لكي يتمادوا في ظلمهم.

- **الرجل الخائن**

صنف آخر من الرجال قد تصادفه المرأة في حياتها، وتقع في شباكه وتكون ضحية له ولغدره تتحدث عنه أحلام مستغانمي قائلة:« هم فقط أكثر خيانة وتنصلا من وعودهم»[3]. ذلك أن الرجل لا يستطيع أبدا الوفاء والإلتزام بوعده لأية امرأة كانت. و أفضل تشبيه وضعته الكاتبة لمثل هذا النوع من الرجال هو «رجل كالزواحف يتخلص من جلده ومن ماضيه دون عناء»[4].

وتقدم لنا الروائية نموذجا لهذا الرجل وتسرد لنا قصة فتاة وقعت في حبه فتقول عنها :

1 الرواية. ص 61 .
2 نفسه . ص 30 .
3 نفسه. ص 64 .
4 نفسه. ص 54 .

« جنت به حبا وغيرة، لكن الرجل لم يفقد عقله كان فقط يتسلى "رجال واستحلى" كما يقول اللبنانيون»[1].

هذا النوع من الرجال لا يمكنه أن يبقى مع امرأة واحدة وهو ما تسرده لنا الروائية حول فتاة أحبت هذا الرجل وتعلقت به حد الجنون فماذا فعل هو بها« طلقها بالثلاث، دون أن يقول شيئا دون أن يقدم شروحا، أعلن نفسه خارج الخدمة»[2].الرجل بطبيعته لا يمكن أن يصدق أن هذه المرأة تحبه و إنما يتوقع منها الخيانة دائما، لذلك يبادر هو بخيانتها: «أرادته كبيرا كما لو أنجبته وخذلها ذلك الرجل»[3].

والكاتبة تنصح المرأة بالابتعاد عن هذا الرجل ونسيانه لما يسبب لها إلا الألم والمعاناة، ولكي تتمكن من ذلك عليها أن تتسلح بالتقوى والإيمان و أن تكثر الدعاء.كما تؤكد الكاتبة أنه لا يوجد رجل يستحق أنثى مهما مارس حيلة و ألاعيبه على المرأة ومهما اتصف بالبطولية والشجاعة إلا أن عالمه يختلف عن عالم المرأة العشقي لذلك تذكر الكاتبة النساء بالحذر من هذا النوع من الرجال.

- **الرجل المغرور**

رجل تصادفه المرأة في حياتها فيمارس عليها غروره، ويعمد على أذيتها وايلامها بقصد منه، أو بغير قصد، لكن غروره وحبه للتفوق والسلطة لا يسمحان له بالإعتذار منها وتصفه

1 الرواية. ص 60 .
2 نفسه. ص 271 .
3 نفسه. ص 280 .

أحلام مستغانمي بقولها : «الرجل حاكم عربي صغير لم تسمح له الظروف أن يحكم شعبا، لكن وضعك الله في طريقه و أنت شعبه»[1].

والرجل بغروره وجبروته وطبيعته القاسية، لا يمكن أن يسمح للمرأة أن تهزمه أو تكون مثله. لذلك نجده يتهمها بأخطائه وعيوبه، لكي يبقيها ضعيفة وقريبة منه إذ «يحتاج الرجل العربي أن يضعك في قفص الاتهام كي يمن عليك بالعفو ويكون سيدك»[2].

وهو يرى في عناده وغروره قوة، و إذ ما تنازل يومًا عن ذلك فهو ضعيف، لذلك حتى لو كان يحبها إلا أن غروره لا يسمح له بمكالمتها إذ « راح يتمادى هذا لأنه اعتقد أنه كعادته بإمكانه أن يذهب بعيدا في ظلمها، ثم يجدها في انتظاره متى عاد»[3].

وهذا النوع من الرجال قد يكون حبه صادقا وقد يكون وفيا لحبيبته، لكن عناده وغروره طغيا على حبه فلم يستطع أن يفهم مشاعره «لماذا كابر إذن كل تلك السنوات»[4].وهو رجل لا يعرف الإعتذار من المرأة بل ينتظر اعتذارها الدائم منه، لأنه يعتقد أن هذه المرأة لا تقوى على فراقه وستتحمل كل غروره ، هو رجل يعتقد أن «المرأة موجودة أصلا لانتظاره، و أنها أضعف من أن تأخذ قرار الانفصال أو تلتزم به»[5].

لذلك نجد الروائية تنصح المرأة بالابتعاد عن هذا الرجل الذي لا يملك شجاعة الاعتذار عن أخطائه و وعيوبه ، وهو لا يمكن أن يكون رجلا، لأن الاعتراف بالخطأ فضيلة، وعلى ما

1 الرواية . ص 175 .
2 نفسه. ص 175 .
3 نفسه. ص 227 .
4 نفسه. ص 228 .
5 نفسه. ص 229 .

يبدو أن الرجال تنقصهم مثل هذه الميزة، وعلى المرأة أن لا تذل نفسها أمامه و أن لا تسمح لغروره أن يسيطر عليها.

- **الرجل المراوغ**

وتصفه الروائية كذلك بالمنسحب، الهارب، المتخفي، فتقول: «سيختفي توقعي ذلك منذ أول ظهور له في حياتك»[1]. وقد دخلت إلى عمق تفكير الرجل، ولماذا يفكر بالهروب كحل له ، وقد استشهدت بقول لـ" جون ماري مور" الذي تقول فيه: لا سبيل للرجل أن ينتصر على المرأة إلا بالفرار منها.

ولهذا الرجل وسائل عدة تمكنه من التخلص من أي امرأة وتحطيمها، ومن بين هذه الوسائل الصمت« إنه صمت الكيد... صمت الهجر... صمت الخذلان... »[2]. ويلجأ الرجل للهروب كحل أسهل له. لكن ذلك بالنسبة إليه هو انسحاب وتصفه الروائية بالأرنب الهارب فتقول عنه :« اعلمي يرحمك الله، أن الرجل أرنب أمام أول مواجهة يهرب، لأنه لا يملك تبريرا لأي تصرف و لا أي جواب على أسئلتك الكثيرة، الهروب مخرج مشرف له»[3].

وعلى المرأة التي تربطها علاقة بمثل هذا النوع من الرجال أن تتوقع في أية لحظة اختفاء هذا الرجل من حياتها، وهو ما توضحه لنا الروائية بقولها: «دون مقدمات دون شروح أو توضيحات توقف هاتفه عن النبض بنوايا إجرامية معلنة لاغتيالها صمتا»[4].

1 الرواية. ص 173 .
2 نفسه . ص 160 .
3 نفسه . ص 174 .
4 نفسه. ص 48 .

وتحث الروائية المرأة على المبادرة بالانسحاب من حياة هذا الرجل كي لا يسبب لها الألم والمعاناة، فتقول لها : "كوني أول من يهرب من رجل كهذا...كوني من يهينه بالانسحاب. عندها فقط ستصبحين عقدة الأرنب وسيبدأ بمطاردتك"[1].

عندما يشعر الرجل بعدم اهتمام المرأة ولا مبالاتها به، واهتمامها فقط بنفسها، يشعره ذلك بالخطر و بالخوف من فقدانها، فيحاول هو التقرب منها لمعرفة ما تخفيه وما تريده، وهو لا يحب أن تكون المرأة من تبتعد عنه أولا.

- **الرجل المعقد**

وتصفه الروائية كذلك بالمتجبر، الغيور، المشكاك ، والمريض، رجل لا يؤمن بحب المرأة له ولا بإخلاصها له في علاقاتها به، وتقول: «منذ اللحظة التي دخلت سوسة الشك إلى قلبه أصبحت مهددة بخسارته، سيصدق السوسة ولن يصدقك! "[2]. والرجل المعقد يحس دائما بالنقص، ويبحث عن تأكيد رجولته بالعلاقات التي يربطها لكل امرأة ويكون ذلك بتحطيم قلبها وشعور المرأة بالضعف يولد لديه شعورًا بالقوة والرجولة، وهو ما تقوله عنه الروائية: "عادة ما يبحث الرجل عن امرأة عادية تكون له ملاذا، لا يريد حبًا عظيمًا بل امرأة تعطيه إحساسًا بالعظمة"[3].

رجل أوصلته الغيرة إلى حد الجنون، ولا يصدق مطلقا أن امرأة يمكن أن تخلص له، يشك في انشغالها عنه أن تكون على علاقة بغيره، أو أن تكون تتحدث مع شخص آخر عبر الهاتف

1 الرواية. ص 175 .
2 نفسه .ص 221 .
3 نفسه. ص 222 .

لأن ذلك الهاتف بحسبه وجد فقط لخدمته هو، وهذا ما ترويه لنا الروائية، قد حدث مع إحدى صديقاتها والتي تقول: « ماذا أفعل؟ لقد بدأت المشاكل بيننا...كلما وجد الهاتف مشغولا قامت القيامة وانقطع عن مهاتفتي يوما أو يومين»[1].

كما أن غيرة الرجل وشكه لا يجعلانه يصدق أن امرأة تعلوه شأنا يمكن أن تنظر إليه وتخلص له، كما «أن المرأة العظيمة تجعله يحس دائما بالنقص وعدم الرضا، وشكه يجعل منه مريضا لا يصدق أن امرأة على ذلك القدر من الجمال والنجومية والشهرة يمكن أن تكون وفية له، قالت له السوسة: كيف تخلص لك وحولها هذا القدر من الأثرياء والمشاهير»[2].

وتبرر الروائية سبب كل هذه المشاكل، كل هذا الشك والوسواس، بذلك " الهاتف المرضي" مثلما تصفه، ذلك أن الهاتف يجعل من حب العشاق أقوى و أعنف، وحتى مرضًا معديا يقتل أصحابه ويموت الحب بينهم.

والرجل بطبعه مُشاغِل و متجبر على المرأة ولا يريد في حياته تلك المرأة الذكية ولا القوية. إنما تكفيه امرأة تهتم به وبحاجياته وتحترم قراراته التي يفرضها عليها، كما أنه سريع الغضب عليها ولا يفكر مطلقا بمشاعرها، ذلك أن «الكلمات كالرصاصة لا تسترد وقد يفرغ فيك في لحظة غضب ذخيرته من الكلام الذي يفاجئك بأذاه.»[3] وعلى المرأة أن تحذر من رجل سريع

1 الرواية. ص 221 .
2 نفسه. ص 223 .
3 نفسه. 248 .

الغضب ، ولأنه وفي لحظة غضب منه يجعلها تعيش جحيم و ألم كبير إذ أنه «في نوبة غضب واحدة يلقي فيها عليك بحممه وبالجمر المتطاير من فمه.»[1]

إن تجبر الرجل وحبه للسلطة يجعلان منه بعيدا عن حبيبته مهما كانت درجة حبه لها ذلك أن غيرته دمرته، وكانت أقوى من حبه وعنه تقول الروائية «لماذا كابر إذن كل تلك السنوات؟ لماذا كان يشقى ويشقيها به؟ لماذا كان يبكي في السر...ويبكيها؟ لماذا وهو البدوي الغيور كغزال عربي، تركها لرجل غيره؟»[2].

رجل معقد تتحكم فيه غيرته وغروره المريض، لا يمكن أن يتنازل أمام امرأة أي كانت ومهما كان حبه لها، ذلك أن جذوره و أصله المبني على القوة وحب التسلط والتملك لا يسمحان له بالرضوخ لسلطة الحب إذ « يأبى الرجل أن يعود إلى حبه الكبير بعد قطيعة معتذرا ومنكسرا تربيته تمنعه أن يرى في لحظة ضعفه أمام الحب، أجمل لحظات عمره على الإطلاق.»[3]

تعطي لنا الروائية مثالاً عن غرور الرجل وتجنيه على المرأة، وهي صديقتها الصحفية التي عانت من غرور الرجل وغيرته منها ومن نجاحاتها، والذي قال لها مرة « أنت كذبة كبرى. أتعتقدين أنك صحافية كبيرة... ثمة مليون امرأة أهم منك وأجمل منك، فلانة مثلا أشرف منك مليون مرة، تتمنى فقط لو سلمت عليها ولا أفعل»[4].

1 الرواية. ص 249 .
2 نفسه. ص 228.
3 نفسه .ص 229 .
4 نفسه. ص 245 .

وترى الروائية أن هذا النوع من الرجال ومهما قدمت له المرأة من تنازلات ومهما رضخت له، إلا أن مرضه وهوسه يبقيان حاجزا بينهما، وغيرته تدمر كل شيء بنياه، وهو ما حدث ما تلك الصحفية التي "ظلت لفترة دون عمل كي لا تعطيه سببا للغيرة، ما كان لها من شغل إلا تدليل الرجل الذي تركت كل شيء لأجله، عساه يطمئن ويتزوجها، لكنه لم يطمئن برغم ذلك ولا كان معنيا بالفرص التي أضاعها عليها، وفي ليلة من ليالي "الجدي" راح يضربها بما أوتى من ذكورة بعد أن خيل له أنه رآها تبتسم أثناء العشاء...للنادل!. "[1]

فما حاجة المرأة إلى رجل مثل هذا رجل غيور، معقد، مشكاك، مريض ومتجبر رجل يجد سعادته في ألمها وشقائه وحزنه في نجاحها وسعادتها، رجل لا يقدر إنجازاتها ولا طموحاتها وفي كل مرة يسعى إلى تدميرها وكسرها من أجل أن يعلا هو وبتفوق، رجل هكذا لا يستحق مكانا في حياة أية امرأة.

لقد سردت لنا الروائية صفات لبعض الأصناف من الرجال، الذين قد تقابلهم المرأة في حياتها، وتضع نفسها رهينة لهم ولميولهم المريضة والمعقدة. و التي تدل عن النقص في شخصيتهم وعن رجعية تفكيرهم التي لم يعد الزمن يتماشى معها، وترى الروائية بأن خير عدو لهذا الصنف من الرجال هو النسيان. بنسيانهم والابتعاد عنهم نجاح المرأة وصلاح لها والنسيان هو أفضل تحد يمكن أن تأخذه المرأة ضد الرجل إذ تقول: "ثمة رجال لا تكسبه المرأة إلا بالخسارة عندما تنسيه حقا سيتذكرك، ذلك لأننا لا ننسى خسارتها."[2]

1الرواية. ص 245 .

2 نفسه .ص 43 .

وترى الروائية بأن أفضل وسيلة تعين المرأة على النسيان هو التقوى، الصلاة والدعاء والتقرب إلى الله يجعلها ترتاح وتنسى همومها، وتنسى ظلم ذلك الرجل لها، فتقول«ما حاجتك إلى صدقة هاتفية من رجل إذا كانت المآذن ترفع أذانها من أجلك وتقول لك خمس مرات في اليوم إن رب هذا الكون ينتظرك ويحبك...أبكي نفسك إلى الله و أنت بين يديه، ولا تبكي في حضرة رجل يخال نفسه إلاهًا يتحكم بحياتك وموتك»[1].

ومع كل الصفات السلبية التي أدرجتها الروائية للرجل في روايتها وحذرت المرأة منها، إلا أنها استثنت فئة قليلة جدا ونادرة من الرجال وهم الأوفياء والرجال الحقيقيون واللذين تقول عنهم:

«الوفاء الآسر لرجال من سلالة نادرة»[2]. وتصر الروائية على أن مثل هذا النوع من الرجال وجوده قلة في هذا الوقت، بشهامته وطفولته وحبه، وتواضعه وهو ما نجده حين تصفه الروائية على لسان هذا الرجل «حدث أن عدت إليها معتذرا عندما كان خطئي كبيرا في حقها، أحب أن أتمرد على ذكورتي، في الاعتذار عودة إلى الطفولة وتطهير للنفس من كبائرها، كالغرور والكبرياء، والتسلط، والأنانية والتجني»[3].

ونجد الروائية تنحسر على ضياع الرجولة وندرتها في هذا الزمن الذي بات للرجولة معنى آخر وهو «رجولة الساعات الثمينة والسيجار الفخم»[4] كما أنها تبحث عن الرجال الحقيقين وتتساءل: أين ذهب الرجال؟ وماذا حل بهم؟.

1 الرواية. ص 118 ، 119 .
2 نفسه. ص 283 .
3 نفسه . ص 284 .
4 نفسه. ص 11 .

وتؤكد الروائية أن الرجل الوفي يحظى بقلب أي امرأة كانت، ويبقى مسيطرا عليه، وهو يستحق ذلك ، يستحق إخلاص المرأة له، ووفاءها إذ أن «القلب ينسى من يخونه، لكن يتعذر عليه نسيان الوفاء.»[1] إذ يبقى الوفاء ميزة يتميز بها قلة من الرجال، وصفة نادرة فيهم .

3- معنى الرجولة في الرواية :

ترى الروائية بأن الرجولة هي التي تؤمن ايمانا مطلقا لا يراوده شك أنها وجدت لتعطي لا لتؤذي، لتبقي وتحب وتهب، رجولة تقدر معنى المرأة وتمنحها قيمتها وقد استشهدت بقول لكاتب فرنسي يقول فيه:« الرجل الحقيقي ليس من يغري أكثر من امرأة، بل الذي يغري أكثر من مرة المرأة نفسها»[2].

وهذه الميزة قل ما نجدها في رجال اليوم إن لم تقل عنها منعدمة، ذلك أن الرجولة ميزات وصفات يصعب على أي رجل كان أن يمتلكها والتي منها الوفاء، الوفاء بالوعد، الوفاء لمن يحبه، الوفاء لنفسه، فنجد الروائية تقول عن الرجل الوفي« الوفاء الآسر لرجال من سلالة نادرة.»[3].

وتعدد لنا الروائية صفات الرجولة الحقيقية والنادرة، والتي تجعل كل من يتسم بها يفتخر بنفسه ويعتز بها وهي« الشهامة والشموخ والأنفة وبهاء الوقار ونبل الخلق و إغراء التقوى والنخوة والإخلاص لامرأة واحدة، والترفع عن الأذى، وستر الأمانة العاطفية و السخاء العشقي الموجع

1 نفسه. 284 .
2 نفسه . ص 13 .
3 الرواية . ص 283 .

في إغداقه والاستعداد للذود عن شرف الحبيبة بكل خلية، و حتى آخر خلية، ومواصلة الوقوف بجانبها حتى بعد الفراق. "[1].

تلك هي الخصال التي تبحث عنها المرأة في الرجل، وتلك الصفات هي التي تشي بالرجولة الحقيقية، وهي صفات ليست للبيع، وتصف لنا الروائية هذا الرجل وتمدحه فتقول عنه: «عاشق من سادة الوفاء، قطع مراحل كبيرة في تربية النفس على الإخلاص لبلوغ مقام كهذا.»[2]

وتنصح الروائية أية امرأة تحظى بهذه الماسة النادرة، أو مر على حياتها رجل كهذا أن تفتخر به، وأن تتمسك وتتشبث به لأن شخص مثله لن يتكرر في حياتها، وهو رجل يستحق أن يقال عنه عاشق« عاشق يشتهيه العشق ويباهي به بين الرجال"[3]. رجل حقيقي وفي لحبه يعترف بأغلاطه ويتجمل بلغة الاعتذار، مثله هم "سادة في الوفاء...رجال أوفياء كأنبياء رسالة، جميلون في تعففهم كبار في عواطفهم»[4].

رجل يحترم المرأة ويقدرها، ويعترف بحاجته لها لتشاركه حياته، وتحمل عنه وتعينه في حياته لأنه يؤمن بأن الحياة تبنى على ثنائية الرجل والمرأة و أنه ينبغي أن تكون هناك علاقة احترام بينهما، وتفاهم وتتحسر الكاتبة في هذه الرواية وتتأسف على انعدام صفات الرجولة في رجال هذا الزمن خاصة الوفاء الذي لم يعد صفة لهم فتقول: «الوفاء مرض عضال لم يعد يصيب على أيامنا إلا الكلاب... والغبيات من النساء»[5].

---

1 الراوية. ص 12 .
2 نفسه. ص 284 .
3 نفسه . ص 283 .
4 نفسه. ص 184 .
5 نفسه . ص 11 .

وتتوجه أحلام مستغانمي بخطاب مباشر إلى الرجال ليقينها بأنهم سوف يتسللون إلى الكتاب بالرغم من منعه عنهم، فتقول لهم : «أيها الرجال، الرجال سنصلي الله طويلا كي يملأ بفصيلتكم مجددا هذا العالم، وأن يساعدنا على نسيان الآخرين.»[1].

وتعتبر هذا الكتاب هو في مصلحة الرجال أنفسهم لكي يتعلموا منه و أن يتجنبوا الوقوع في أخطاء غيرهم فتقول: «هذا الكتاب سيسمح لمن تسلل من الرجال هنا أن يتعلم من أخطاء غيره من الذكور من باب تعلم الأدب من قليل الأدب»[2].

كما تطمئن الرجال في نفس الوقت بأن الحياة لا يمكن أن تستمر من دونهم إذ لا يمكن للمرأة أن تخرجهم من حياتها كليا، فتقول لهم :« ليشيخوا مطمئنين لا الزمن لا المرض ، لا الموت سيقتلهم من قلوبنا نحن النساء، النساء»[3].

وفي الوقت نفسه تعتذر من الرجال الحقيقين وتقول لهم: «أما الرجال الحقيقيون فأعتذر لهم، أحب إثم ذكائهم، فأنا واثقة أنهم سينجحون في رشوة النساء بما يملكون من وسائل رجالية لا تصمد أمام إغراءاتها امرأة.»[4] وقد جاءت هذه الرواية لتكشف الستار عن أشباه الرجال اللذين يتلذذون بعذاب المرأة وإهانتها وأذيتها.

1 الرواية. ص 11 .
2 نفسه. ص 13.
3 نفسه. ص 14 .
4 نفسه. ص 13 .

4- الحب في الرواية

تتحسر الروائية وتتأسف على ما آل إليه الحب في وقتنا هذا، وتستذكر ذلك بمقولة لكاتب فرنسي يعرف فيها الحب بقوله: " في القرن العشرين الحب هو هاتف لا يدق" يحدث هذا في زمن التطور التكنولوجي وزمن السرعة و عدم الإنتظار والشوق، فتعرف الحب وتقول: "ما عاد تعريف الحب اليوم أنه اثنان ينظران في الاتجاه نفسه، بل اثنان ينظران إلى الجهاز نفسه."[1] والكاتبة تحن إلى الزمن الذي كان فيه ساعي البريد هو مرسول الحب وهو ما تسميه بزمن الانتظار الجميل وتلك السعادة التي تحس فيها أثناء فتح رسالة من حبيب فتقول: "ماتت تلك الأحاسيس العاطفية الكبيرة بسبب تلك الأفراح التكنولوجية الصغيرة التي تأتي وتختفي بزر، منذ سلمنا مصيرنا للآلات."[2].

وأصبح الحب مرهونا برنة هاتف أو رسالة الكترونية على جهازها، وهو ما تصفه لنا الروائية " سياسة التجويع الهاتفي، أو الريجيم الهاتفي"[3].وأي حب ذلك الموصول بهاتف أو بآلة إلكترونية إلى أي مدى سيستمر ويتحمل و إلى أين سيوصلنا؟.

ومع هذا التطور السريع وهذه الفوضى في المفاهيم تستشهد الروائية بقول لـ "ألفرد كابوس" يعرف فيه الحب بأنه "الحب هو عدم حصول الرجل فورا على ما يشتهيه" وتصر الروائية على

1 نفسه. ص 166 .
2 نفسه. ص 167 .
3 الرواية. ص 163 .

أن هذا الحب سرعان ما سينتهي لذلك تحذر النساء منه فتقول" الحب عابر سبيل يمر بنا ويواصل طريقه من دوننا مهما طال المشوار»[1].

وتتأسف الروائية لكل ذلك الصراع الذي يحدث بين المتحابين وتتساءل إن كانوا فعلا يحبون بعضهم فلماذا يصرون ويعاندون في حبهم. وتقول « لقد وجد الحب لنتحدى به العالم، لا لنتحدى به من نحب. ووجد ليني ويحمل وسيند لا ليهد ويبشع ويدمر.»[2] كما تدعوا الروائية النساء بعدم أخذ الحب مأخذ جد وإعطاء كل ما تملك إنما يحب أن نحذر في الحب ونحذر ممن نحب فتقول:« لأننا أخذنا الحب مأخذ الجد فلا أحد قال لنا إنه في الواقع أجمل أوهامنا وأكثرها وجعا.»[3].

إن الحب بقدر ما هو جميل إلا أنه مدمر و يقتل في كثير من الأحيان ذلك إذا لم نحسن الإختيار، وغيبنا عقولنا فيه، وها هي أحلام مستغانمي تقدم نصيحة لتفادي كل المعاناة والأحزان وكذا للفوز في النهاية فتقول لكل امرأة مقبلة على مغامرة حب «أدخلي الحب كبيرة واخرجي منه أميرة.»[4].

كما تنصح المرأة بالوقوف في وجه هذا الحب المزيف الغشاش فتقول لها« إنه قرار سليم أرفضي أن يمن عليك رجل بدقة الرحمة كنوع من الموت الرحيم، ليذهب إلى الجحيم.»[5]!. الحب الذي يتحدد بعدد الكلمات الهاتفية لا يمكن أن يعد حبا، إنه هوس إنه خيال ومرض إنه

1 الرواية. ص 179 .
2 نفسه. ص 98 .
3 نفسه. ص 18 .
4 نفسه. ص 58 .
5 نفسه. ص 164 .

خيال ومرض، إنه خرافة يصلح أن تكون مسلسلا لأن نهايته أكيدة. و هذا ما تتأسف عليه الروائية، ولقد عملت في روايتها على استبدال هاتف الحب بهاتف النسيان لتعين صديقتها على نسيان حبها الخرافي.

لتختم الروائية نصها المطول بنصيحة إحترازية من هذا الرجل الذي لم يتخذ عندها إلا صورة الذئب الضاري المتربص بالمرأة، والمتحين لفرصة القضاء عليها ذلك أن العالم الذي نعيش فيه غابة بحسب ما تقول: «نحن نعيش في غابة معظم حيواناتها تعيش بداخلنا»[1].

لذلك تنصح كل امرأة بالاحتراس في إختيار الشخص الذي تودعه حياتها فتقول: «صار لزاما علينا أن تتعلم علم الفراسة...ونقلع عن متابعة القنوات السياسية و الطربية ونتابع عوضًا عن ذلك القنوات المختصة بالحيوانات حتى لا نخطئ في اختيار حيوان حياتنا»[2].

كما تنصح كل امرأة مقبلة على الحب أن تحترس وتتوقع وجود لحظة الفراق والنهاية و أنه لا شيء أبدي وكل شيء ممكن في الحب كما الموت فتقول: «علينا أن نربي قلبنا مع كل حب على توقع احتمال الفراق والتأقلم مع فكرة الفراق، قبل التأقلم مع واقعه، ذلك أن في الفكرة يكمن شقاؤنا و أن نذهب إلى الحب كما نغادره، دون جراح ، دون أسى.»[3]

وعلى المرأة أن تؤمن بأن الحب ما هو إلا عابر سبيل، وقد مر في حياتنا لذلك يجب أن يكون هناك حل له إنه النسيان« النسيان هو المقيم في أيامنا وسريرنا ومفكرتنا إنه رجل

1 الرواية. ص 186 .
2 نفسه. ص 186 .
3 نفسه. ص 29 .

حياتنا»[1].وترى في النسيان الحل الوحيد لعذابات المرأة، لكن على هذه الأخيرة أن تتحلى بالشجاعة والجرأة لهذه المعركة فتقول لها: «إن نويت على النسيان، ادخلي المعركة وأعطي الوقت وقتا»[2].وتدعوا الكاتبة المرأة بأن لا تحب دفعة واحدة، و أن لا تمنح نفسها بالكامل لكي لا تكون نهايتها على يد رجل، و تذكرهن بمقولة " ويل لخل لم يرى في خله عدوًا". وتطالب مستغانمي بحق المساواة بين الرجل و المرأة في أمر واحد وفقط وهو المساواة في النسيان وتناشد العلماء في مساعدتها على ذلك وايجاد علاج للحد من الداء المستأهل في إناث الجنس البشري وتصف هذا الداء بقولها: «الوفاء مرض عضال لم يعد يصيب على أيامنا إلا الكلاب... والغبيات من النساء ! »[3].

وتشرح لنا الروائية كيف تورطت في هذا الكتاب. وكيف بدأت قصتها التي كانت في البداية نصيحة تقدمها لصديقتها التي وقعت في شرك الحب وباتت أسيرة لذلك الرجل الذي أحبته، فأرادت الكاتبة أن تساعدها على النسيان وعلى التخلص من حبها وحينها سمعت صديقاتها بكل تلك النصائح التي تقدمها، طلبن منها أن تدونها في كتاب يكون «دليلا نسائيا للنسيان» تساعد به كل الفتيات اللواتي وقعن ضحية للحب و أن يكون نصيحة لكل من تقبل على الوقوع فيه.وتنصح المرأة بالصلاة والتقرب إلى الله فتقول:« صلي...ففي سجود قلبك نسيانه»[4].

1 الراوية. ص 179 .
2 نفسه. ص 194 .
3 نفسه. ص 36 .
4 نفسه. ص 117 .

وتقدم لنا الكاتبة في روايتها قصص لعديد من النساء الغبيات كما تصفعهن. اللواتي وقعن في شرك الرجل أي الحب وبقين مخلصات لحبهن أي للماضي بالرغم من فراقهن فتحاول مساعدتهم على الشفاء من جراح الماضي.

لتختم كتابها بما سمته " ميثاق شرف أنثوي" وهو عبارة عن مجموعة من القواعد على المرأة أن تتحلى بها و أن تكون أساسا لبداية حبها، وتطالبها بالتعهد والتوقيع على الالتزام بهذه المبادئ. وتطلب في الأخير من كل من تقرأ الكتاب أن توقع بدورها على الميثاق و أن يحفظن وصايا هذا الميثاق ليوفرن على أنفسهن أشهرا من العذاب و أعوام من الأوهام، لتختم بعبارة "النسيان...نسيان. كم" ! .

من خلال دراستنا لكتاب أحلام مستغانمي "نسيان com" لاحظنا أنها جاءت على شكل سرد أحداث و وقائع وقصص حدثت مع صديقاتها بطريقة بسيطة وجميلة و بلغة سهلة بسيطة .

وقد كانت كتاباتها تترك انطباعين مختلفين في نفس القارئ، فمرة تبعث عباراتها السكينة والدفء في القلوب. ومرات تنقلنا إلى عالم مختلف تشتعل فيه نار الغضب والتحسر على زمن لم يعد فيه للحب الصادق مكان.

كما تطرقت الروائية لعدة مواقف تعيشها المرأة في حياتها مع الرجل، لتعود وتطالب في كل مرة من المرأة أن تنزع ثوب الضحية و تناضل من أجل حقوقها، و ألا تترك مستقبلها رهنا لإشارة سيدها "الرجل".

وقد تكلمت الروائية بجرأة عن العلاقة التي تجمع الرجل بالمرأة، فتعمقت في خباياها وأسرارها، وجعلت من الرجل رمزًا تسقط عليه الحالة الاجتماعية والسياسية التي آل إليها المجتمع العربي عامة والجزائري بالخصوص.

ونجد أنها في هذا المجال وأعطت صورة عن علاقة المرأة بالرجل والتي تظهر في صراع مستمر، وسيطرة ذكورية، فقامت بتحليل شخصياته المختلفة. والكاتبة من خلال كتاباتها لا تعبر عن ذاتها فقط بل تتوغل في ذوات النساء لتبين لنا بعض المواقف التي تعيشها المرأة مع الرجل وهو ما نجده في روايتها "نسيان com" ، والذي قد يكون السبب وراء كتاباتها لها هو تجربة أليمة قد تكون عاشتها مع الرجل أو يكون ما عايشته وشاهدته في أعين نساء أخريات مثل صديقاتها وهو الذي ذكرته لنا في الرواية .

يمكن اعتبار الروائية أحلام مستغانمي مرشدة النساء في علاقاتهن العاطفية نظرا لتجربتها وخبرتها بالرجال وهو ما نلمسه في كل كتاباتها التي تتميز بالحنكة والذكاء والفطنة تجاه الآخر، ونجد أنها في هذا الكتاب تناولت فقط الجانب السلبي للرجل بكل تفاصيله، ربما تكون تعمدت ذلك لتوجه لهم رسالتها . مع أنها اشارت إلى الجانب الآخر من الرجل دون التفصيل في ذلك.

كما نستنتج من خلال بحثنا في الكتابات النسوية الجزائرية أن المرأة التي كانت تلهم الرجل في الماضي أصبحت الآن تنافسه في مجال الكتابة، فكسرت القيود وبدأت تطالب بحقوقها ، وباتت تناقش مواضيعا كانت في الماضي حكرا على الرجال . فخطت خطوة كبيرة نحو الأمام .

بالإضافة إلى موضوع الرجل نجد أن هناك مواضيع أخرى كثيرة ومتعددة تناولتها الكتابة النسوية الجزائرية والتي منها : الوطن، القومية، الأمومة، بالإضافة إلى قضايا سياسية واجتماعية أخرى .

ليبقى الحديث عن الكتابة النسوية الجزائرية ومواضيعها وكذا حضور الرجل فيها . أمر شديد التعقيد ، ولا يمكن الإلمام به كله في بحثنا هذا ، نظرا لبروز الكثير من المبدعات في هذا المجال. وكذا الجدل الواسع بين النقاد حول موضوع هذه الكتابات بين مؤيد ومعارض لها.لكن الشيء الأكيد لدينا هو أن المرأة الجزائرية كتبت أخيرا، وقد أبدعت في ذلك وبكل الطرق وفي مختلف المجالات ، وهو ما يستحق الاهتمام من طرف النقاد و الدارسين.

الفهـــــرس

كلمة شكر

إهداء

مقدمة أ- ب

الفصل الأول: الكتابات النسوية الجزائرية وحضور الرجل فيها 06

ولوج المرأة الجزائرية لعالم الكتابة 07

مشكلة التصنيف والتمييز في الكتابة 18

موضوعات الكتابة النسوية الجزائرية وحضور الرجل فيها 22

الفصل الثاني : صورة الرجل في رواية نسيان com 29

تصنيف الرواية 30

صورة الرجل في الرواية 32

معنى الرجولة في الرواية 42

الحب في الرواية 45

خاتمة 50

قائمة المصادر والمراجع 52

فهرس 57